اللسانُ والعُمران أثر اللغة العربية في انتشار الإسلام

أ.د. هيثم محمد سرحان
قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم
جامعة قطر

اللسانُ والعُمران أثر اللغة العربية في انتشار الإسلام

أ.د. هيثم محمد سرحان

قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم
جامعة قطر

تاريخ تقديم البحث: ١٧/ ٨/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٨/ ٢/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

يهدفُ هذا البحث إلى الكشف عن العلاقة الوثقى بين اللسان والعمران من خلال الكشف عن أثر اللغة العربيّة في انتشار الإسلام وتوسّع الحضارة العربية والإسلامية خارج جغرافيا جزيرة العرب. وينطلق البحث من سؤال أساسيّ مفاده: كيف أسهم تضافر العناصر البشرية واللسان في بلوغ أهداف الحضارة العمرانيّة؟ وقد اعتمد البحث على استطلاع السياسة اللغويّة التي بدأت مع ظهور الإسلام في جزيرة العرب، وما أعقبه من تخطيطٍ لغوي رافق انتشار الإسلام والفتوحات العربية في العالم القديم.

وخلص البحث إلى أنّ للإسلام أثرًا جوهريًّا في إنتاج سياسة لغوية في شبه جزيرة العرب عززت من روابط الوحدة والهويّة اللسانيتين الجامعتين. وفي المقابل فقد ساهمت اللغة العربيّة على انتشار الإسلام خارج حدود شبه الجزيرة العربيّة.

الكلمات المفتاحية: العمران، السياسة اللغويّة، التخطيط اللغوي، انتشار الإسلام، العالم القديم.

Language and Civilization: The Role of Arabic Language in the Spread of Islam

Prof. Haitham Mohammad Sarhan
Department of Arabic Language & Literature- College of Arts and Sciences
Qatar University

Abstract:

This study seeks to examine the strong relationship between language and civilization by unveiling the role of Arabic in the spread of Islam and the expansion of the Arabo-Islamic civilization outside the Arabian Peninsula. The study argues that both language and human interaction have contributed to the formation of that civilization. It will demonstrate this through exploring the language policy that began with the emergence of Islam in the Arabian Peninsula, coupled with the language planning that accompanied the spread of the religion and the Arab conquests in the Middle Ages. The study will conclude that Islam had an essential impact on producing a language policy in the Arabian Peninsula, a policy that strengthened the identity and unity of the entire community.

key words: Civilization, Language Policy, Language Planning, Spread of Islam, The Middle Ages.

❖ **عتبة العُنوان**

غالبًا ما يدورُ اللسانُ مع العُمْرانُ دورانَ العلّةِ مع المعلولِ وجودًا وعدمًا؛ فإذا كانت الحضارةُ غايةَ العُمْرانِ – حسب ابن خلدون – فإنّ العنايةَ باللسان، والتأنّقَ في صناعتِه، واستجادَتِه، والتّفننَ في مَلكّاته، والكَلَفَ في طَلَبه مِن أبرز عناوين العُمرانِ وبقائه وكماله.

❖ **مُقدّمة**

يهدفُ هذا البحث إلى الكشف عن أسباب انتشار اللغة العربيّة في الجغرافيا والثقافات والألسنة في القرون الوسطى، والبحث في التفاعلات الثقافية التي أسهمت في هذا الامتداد الشّاسع في عقود وجيزة؛ إذ شمل امتدادها القارّات الثلاث: آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، وهي مساحة الدولة الإسلامية التي امتدّ نفوذها من خراسان شرقًا إلى الأندلس وشمال إفريقيا غربًا، ولم يكن ذلك الانتشارُ والامتدادُ لينجحا لولا وجودُ سياسةٍ لغويّةٍ ضمنيّة انتهجها العرب والمسلمون الأوائل في سبيل بَلْوَرة رؤى وأفكار قادت إلى إنتاج برامج لسانيّة تعتمد التخطيط اللغويّ.

يُقصدُ بالسياسة اللغويّة Language Policy التخطيط الذي تنهضُ به الحكوماتُ والدّول في سبيل إحداث التمكين اللغويّ في الدولة، والآليّات المتّبعة في إنتاج آليّات الهيمنة والاستعمال اللغويين[1] اعتمادًا على أوضاع الدولة

(١) انظر: جيمس و. طوليفصون، السّياسة اللغويّة: خلفيّاتها ومقاصدها، ترجمة: محمّد خطابي، تقديم: عبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، مؤسسة الغني، الرّباط، ٢٠٠٧، ص ٢٥ – ٢٦.

اللغويّة من حيث الأُحاديّة[1] أو الثّنائيّة أو الازدواجيّة[2]. إذ يتعيّنُ على الدّولة احترام التعدديّة اللغويّة داخل حدودها، وتوفير التنوّع اللغويّ[1] خارج فضائها الجُغرافيّ.

---

(١) التَّعددية اللغوية Linguistic Pluralism مصطلحُ دالُّ على حضور مجموعة من اللغات في المجتمع والدّولة، في مقابل الأُحاديّة اللغويّة Monolingualism التي يُقصد بها سيادة لغة واحدة في الدّولة والمجتمع. وتنتج التّعدديّة اللغويّة في المجتمع والدولة عن طريق وجود عدد من الأعراق والجماعات في الّدولة عبر حِقَبٍ تاريخيّة مُتعاقبة، والهجرة، واللجوء، والإمبرياليّة، والائتلاف، ومناطق الحدود المشتركة بين الدول المختلفة لغويًّا. وتسعى بعض الدول إلى فرض الأحاديّة اللغويّة واللغة القوميّة لتعزيز الهيمنة والتطوّر الاقتصاديّ وإيجاد علاقات التّماثل والاتّحاد والمواطنة بين أفراد المجتمع والقضاء على التّهديدات التي تخلّفها التعدديّة اللغويّة مثل: الإخلال بموقع اللغة القوميّة، والتمزّق الاجتماعيّ، وإضعاف الإحساس بمفهوم الأمّة، وإحداث اختلالات في تسيير الشؤون الإدارية. وتمثّل التعدديّة اللغوية مؤشرًا مهمًّا على الفاعلية الاجتماعيّة داخل الدولة التي تسعى إلى استيعاب التّباينات اللغويّة عبر سياسة لغويّة تحترم حقوق الجماعات اللغويّة، وتسعى إلى التّخلّص من الصّراعات السياسيّة والحركات اللغويّة والدّعوات الانفصاليّة. كما أنّ التّعدديّة اللغويّة تدعم التّعايش بين مختلف الجماعات والمجتمعات اللغويّة، وتعترف بالتنوّع اللغويّ. انظر: فاسولد، رالف، علم اللغة الاجتماعيّ للمجتمع، ط١، ترجمة: إبراهيم بن صالح الفلاي، النشر العلميّ والمطابع – جامعة الملك سعود، ٢٠٠٠، ص ٢ – ٥٠. و: جون سوان وآخرون، معجم اللغويّات الاجتماعيّة، ط١، ترجمة: فوّاز عبد الحق وعبد الرحمن أبو ملحم، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللغة العربيّة، الرّياض، ٢٠١٩، ص ٢١٢.

(٢) يُقصدُ بتعدد اللغات Multilingualism أنْ يستعمل فردٌ ينتمي إلى المجتمع الخطابيّ Speech Community لغتين أو أكثر، وقد يُعبّر عن هذه الممارسة بالثّنائيّة اللغويّة Bilingualism وهي استعمال لغتين مُختلفتين في المجتمع. ويندرج في تعدد اللغات الازدواجيّة اللغويّة Diglossia التي يُقصدُ بها استعمال لهجتين مختلفتين ضمن لغة واحدة، ومن أمثلة الازدواجيّة اللغويّة تقابل الفُصحى مع العاميّة في اللغة العربيّة. انظر: نهاد الموسى، الثّنائيات في

لقد مثّلت اللغة العربيّة – حسب ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) – عنوانَ العمران البشريّ الذي خلّدته أعمال المسلمين التي لا تزال شاهدة على حضورِهم التاريخيّ، وهويتِهم الإبداعيّة وفعّاليتِهم الإنتاجيّة وخصوبتِهم المعرفيّة. إذ كانت اللغةُ العربيّة — بادئ الأمر – الوسيلةَ التي انتشرَ بها الإسلامُ وتعاليمُه ومبادئُه في بلاد العرب وشبه جزيرتهم، غير أنّ الإسلام غدا، بعد ذلك، حاملاً مباهجَ اللغة العربية وكنوزَ لسان العرب، ونَاشِرًا علومَهما وآدابَهما في جميع الأمصار التي وصلت إليها حوافرُ خيولِ المسلمينَ، وأخفافُ نياقهم، وصواري سفنهم. ثمّ أصبحت اللغة العربيّة بعد ذلك جهازًا لإنتاج المعارف والعلوم والآداب للشعوب والأمم التي تمثّلت العربية واكتسبتها بوصفها لغةً ظافرة ولسانًا قابلاً للاستثمار.

يُقصد بالعربية اللغةُ العربية الفصحى التي فرضت سلطانها بوصفها لغة عليا في التواصل، ولغة أدبية في الإبداع في مطلع القرن الخامس الميلادي. واللغة العربيّة تُنْسَبُ إلى العرب. والعربُ، في أصل الاستعمال، والكلام لأبي المعالي

قضايا اللغة العربيّة من عصر النّهضة إلى عصر العولمة، ط١، دار الشروق، عمان — الأردن، رام الله، فلسطين، ٢٠٠٣، ص ١٢٥. و: معجم اللغويّات الاجتماعيّة، ص ٥٢.

(١) يشيرُ مصطلح التنوّع اللغويّ Linguistic Diversity إلى التعايش بين أشكال التعبير اللغويّ المختلفة، والتعايش بين مختلف اللغات في أرجاء العالم. ويتحقق التنوّع اللغويّ داخل المجتمع والدّولة عن طريق الاعتراف باللهجات واللغة داخل مجتمع الخطاب Speech Community. غير أنّ التنوّع اللغويّ يُمثلُ عقبةً كأداء تعترض سبيل التّخطيط اللغويّ Language Planning داخل الدولة. كما ينظر إلى التنوع اللغوي بوصفه عائقًا أمام التّواصلين المحليّ والدوليّ. انظر: معجم اللغويّات الاجتماعيّة، ص ٢١٢.

محمود شكري الآلوسي (١٨٥٧ – ١٩٢٤م)، اسمُ قومٍ جمعوا عدّةَ أوصاف: الأول: أنّ لسانَهم كان اللغةَ العربيةَ. الثاني: أنّهم كانوا من أبناء العرب. الآخِر: أنّ مساكنَهم كانت أرض العرب، وهي جزيرة العرب من بحر القُلزُم (البحر الأحمر حاليًّا) إلى بحر البصرة، ومن أقصى حَجَرٍ في اليمن إلى أوّل الشام؛ فاليمن داخلة في أرض العرب والشام خارجة منها(١).

على أنّ هذه المحددات تتصل بالعرب وأرض جزيرة العرب حين البعثة النبوية وقبلها؛ إذ سرعان ما امتدّت رقعة الجغرافيا مع فتوح الأمصار التي سكن العرب فيها من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، علاوة على شواطئ الشام وأرمينية، وهذه الأمصار والبلدان كانت مساكن الفرس والروم والبربر وغيرهم، وقد انتشرت في هذا الأمصار اللغة العربية، وامتزجت الثقافات والدماء(٢).

وتمثّلُ اللغةُ العربيّةُ الفُصحى في الجاهلية الشكلَ الائتلافيَّ للهجات العربيّة الذي استطاعت قبيلة قريش حيازته لأسباب متنوعة(٣). ولعلّ هذا الائتلاف اللهجيّ تشكّل عبر زمَن عَجَزَ الدارسون عن تحديده؛ بسبب صعوبة معرفة الزمن الذي قطعته اللغة العربية الفصحى لتكون لغة مشتركة بين القبائل العربية في الجاهلية الأخيرة مع احتفاظ القبائل العربية بخصائصها اللهجيّة التي تميّزها

(١)بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء الأوّل، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٩، ص ١١.

(٢)نفسه، ج١، ص ١١.

(٣) للقراءة في مزية لغة قريش على غيرها من لغات القبائل انظر: مختار الغوث، لغة قريش، ط١، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧، ص ٢٧٥ – ٣٠٣.

عن الفُصحى[1]. غير أنه يمكن الافتراض – حسب شوقي ضيف – أنّ الوعيَ السياسيَ للقبائل العربية بدأ بالتشكّل قبل قرنين من ظهور الإسلام، وكان من آثار هذا الوعي اجتماعُ العرب على لغة واحدة مع الاحتفاظ بالتنوّعات اللهجيّة لكل قبيلة.

وبعبارة أخرى، فإنّ اللغة الفصحى تمثّل توافقًا ضمنيًّا بين القبائل العربية على لغةٍ مشتركةٍ تمثّل النّظامَ اللغويَّ المشتركَ بعد أنْ استشعر العرب المخاطر التي تُهددُ وجودَهم بعد أنْ قضى الرومُ على دولةِ أسلافهم النَّبط في سَلع وتدمر وفرضوا سيادتهم ودينهم على القبائل المجاورة، وبعد أنّ بسط الفرس سيطرتهم على الحيرة وقبائل العراق، وسَعوا إلى نشر الديانة الفارسية المجوسيّة. في حين كان الأحباش قد استولوا على اليمن عقودًا من الزمن وحاولوا نشر الدين المسيحي، مما أدى إلى انتشار اليهودية في اليمن لإحداث توازن دينيٍّ مع الأحباش. إنّ كل هذه الأسباب دفعت العرب إلى الالتفاف حول مكة بيت أصنامهم وحجّهم وكعبتهم الكُبرى فجعلوها قبلة لتجاراتهم وتواصلهم وتعبّدهم وأسواقهم الأدبية، ومن ثمّ امتدّت عنايتُهم بشؤونهم إلى التوافق على لغة رسميّة

(١) يعزو إبراهيم أنيس أسباب نشوء لهجات العرب وتعددها إلى طبيعة تكوين قبائلها الجغرافيّ الانعزاليّ، وتمسّك القبائل العربيّة بنظمهم وتقاليدهم. ويقول: "فاللهجات العربيّة القديمة هي نتيجة انعزال القبائل أوّلا، ونتيجة التّطوّر المستقلّ لكلام كلّ قبيلة ثانيًا. ولا بُدَّ من مرور زمن طويلٍ قد يبلغ قرنين أو ثلاثة قبل أنْ تتبلور تلك الصّفة وتصبح من مميزات قبيلة من القبائل". "انظر: في اللهجات العربيّة، ص ٣٧ – ٣٨.

هي لغة قريش مع الإبقاء على تعدد لهجات القبائل لتكون عنوانًا على التّمايز والثّراء والتنوّع[١].

يُحاجج هذا البحث في أنّ انتشار اللغة العربية في العالم القديم كان يصدر عن سياسة لغويّة ضمنية لم يُصَرَّحْ بها لأسباب ترتبط بغياب النظريّة الواصفة، ويجادلُ البحث في أنّ التراث العربيّ الإسلاميّ شهد برامج تخطيط لغوي مُعلنة تستحق المراجعةَ والنظر والقراءة الفاحصة لعلّ من أبرزها ما أنجزه النُّحاةُ والرُّواة من تقعيد لغوي واستطلاع الاستعمالات اللغوية في مختلف أنحاء الجزيرة العربية وفق تدابير منهجيّة دقيقة سعت إلى رصد الظواهر اللغويّة والفروقات اللهجيّة المعبّرة عن سَعة العربية ورصيدها الزّاخر[٢].

إنّ البحث في ملامح السياسة والتخطيط اللغويين عند العرب والمسلمين الأوائل من شأنه أنْ يُسهم في تعميق الوعي بهذين المطلبين الملحّين في الواقع اللغوي العربي المعاصر، والبحث في جدواهما ومَباعدِهما ومردوديتهما، والنظر في إمكانية تطويرهما واستثمارهما والإفادة منهما في حلّ المعضلات التي تواجه الهوية اللغوية في العالم العربيّ وتهدد أمنه اللغويّ. ذلك أنّ انتشار اللغة العربية، في العالم القديم، مثّل طفرة لسانية عزّ نظيرها في الألسنة والثقافات الأخرى.

(١) العصر الجاهلي، دار المعارف (سلسلة: تاريخ الأدب العربي)، ط ٢٢، القاهرة، ص ١١٨ – ١٢٠. وانظر: في اللهجات العربية، ص ٣٩ — ٤٢.

(٢) عبد الحميد الشّلقانيّ، الأعراب الرّواة، ط ٢، المُنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، ١٩٨٢، ص ١١٨ – ١٢٠. وانظر: في اللهجات العربية، ص ١٦٣ – ١٦٦.

❖ اللسانُ العربيّ من الأفول والانحسار إلى التّوسّع والانتشار

يذهب المستشرق الألماني كارل بروكلمان Carl Brockelmann إلى أنّ اللسان والأدب العربيين، قبل الإسلام، كانا معزولين بفعل أنهما ينتميان إلى جزيرة قاحلة لم تُمَثِّلِ السيطرةُ عليها مَطمعًا من الدولتين المجاورتين لها؛ الفارسية والرّوميّة. ويرى بروكلمان أنّ آداب العرب كانت تماثل آداب الزّنوج من حيث اتصالُها بمعاش العرب القاسي، وتعبّر عن حياةٍ ساذجة تتصف بالانحطاط وانعدام القيمة؛ لأنها ترتبط بقومٍ لا حظّ لهم من الثّروات أو التّرف أو الرُّقيّ العقليّ. غير أنّ هذا الأدبَ نفسه أصبح، باتّصاله الحضاريّ في القرنين الميلاديين الخامس والسادس، أدبًا كونيًّا بفعل انتشار الإسلام في الدولتين الفارسيّة والروميّة(١).

ورأي كارل بروكلمان يُجافي ما أثبته كثيرٌ من دارسي الآداب العربيّة وفحواه أنّ المجتمعات العربية، قبل الإسلام، قد شهدت وجوهًا متنوعة من التحضّر والتمدّن وفق مقاييس الزمان القديم وظروف الأعصر التي أحاطت بها، ومن أبرز تلك الوجوه الحضارية: الزراعة، والتجارة، والصلات مع الفرس والروم والهند. يقول ناصر الدين الأسد: "ولذلك كان من الإخلال الفاضح بالمنهج السّديد أنْ يُنظرَ إلى العصر الجاهليّ نظرةً واحدة، وأنْ يُحكمَ عليه حكمٌ عامٌّ مطلق، وأنْ يُوصمَ عربُ الجاهلية جميعًا بالبداوة والجهالة، فلا تُراعى هذه الفروق الواسعة في البيئات الاجتماعيّة المُتباينة. فإنْ صحَّ أنّ بعضَ الأعرابِ، في

(١) نقلاً عن: طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ط١، دار المعارف، مصر، ص ١٠ –١١.

صحراوات الجزيرة كانوا في معزلٍ عن العالم المُتمدين آنذاك، فإنّه من الصّحيح كذلك أنّ بعض البيئات الاجتماعيّة الأخرى كانت متصلة بمعالم المدنيّة لذلك العهد، مواكبةً لركب الحضارة"[١].

ولعلّ عدم انفصال العرب عن جغرافيا شبه جزيرتهم جعل لغتهم أشدّ قُربًا إلى اللغة السّاميّة الأمّ من سائر اللغات السّامية التي شهدت توسّعًا وانتشارًا كبيرين، لذلك احتفظت اللغةُ العربيّة بخصائص السّامية الأم مثل: السّمات الصّوتيّة، وظاهرة الإعراب، وبعض صيغ الجموع، وغيرها من الظّواهر اللغويّة التي كانت سائدة في اللغة السّامية الأمّ[٢].

إنّ هذا اللسان العربيّ المتقوقع في شبه جزيرة العرب مثّل رافعةً لحمل رسالة الإسلام التي أسهمت، بدورها، في انتشار اللسان العربي وإحداث تطوّر الشّعوب التي انتشر الإسلام فيها تطورًا سريعًا؛ فأقبلت على الإسراع إلى الإسلام، ومحاولة تعلّم لغته، وطلب إتقانها والسعي إلى التضلّع في آدابها؛ فلم يكد القرنُ الثاني الهجريُّ أنْ يَنْتصفَ حتى كان أكثرُ الشعراء والعلماء من الشّعوب الأجنبيّة التي انتشرت فيها العربية والعرب. ليس هذا فحسب بل إنّ اللغة العربيّة التي كانت تنحصرُ في جزيرة العرب وتعبّر عن شظف معاشهم قد

(١)مصادر الشّعر الجاهليّ وقيمتها التّاريخيّة، ط٧، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٠.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٣.

لانت ورقّت وسَهُلت فأصبحت تستوعبُ آدابَ الهندِ وفلسفةَ اليونانِ وثقافةَ الفرسِ عبر الترجمات التي انتشرت في حواضر الإسلام(١).

ولعلّ اضطلاعَ اللسانِ العربيّ بدورٍ مركزيٍّ في مشروع الحضارة العربيّة والإسلاميّة قد أسهم في انتقال ثقافات الشعوب التي دخل إليها الإسلام إلى اللغة العربية، فضلا عن تحويل تلك الشعوبِ إلى أُمّةٍ مُتجانسةٍ في الشّعور، وموحّدة في التفكير تعيش في حضارة واحدة. لقد كان العالمُ قبل الإسلام مُنقسمًا إلى مجالين حضاريين مُتباينين مُتحاربين؛ أحدهما: تابع إلى سيطرة الروم، والآخر تابعٌ إلى سيطرة الفُرس. غير أنّ "هذا العالم تحوّل بفضل ظهور الإسلام، وبفضل انتشار اللغة العربيّة والثّقافة الجديدة إلى أُمّة واحدةٍ مُتّحدة في كلّ شيء تقريبًا، لغتها العلميّةُ والأدبيّة هي العربيّة، فيها تتكلم، وفيها تنشئُ شعرها وتكتبُ نثرها، وفيها تضع كُتبها العلميّة"(٢).

استطاع اللسان العربيّ أنْ يُحقق حضورًا بارزًا في الجغرافيّات الثقافية التي انتشر فيها الإسلام ليس عبر القرآن الكريم وتعاليمه السَّمحة فحسب وإنما عن طريق الأدب العربيّ الذي نجح في بسط نفوذه في خراسان وبلاد فارس والشّام والعراق ومصر وإفريقيا والأندلس في غضون ثلاثة عقود لم تَنْجُ فيها اللغة العربية من صدام اللّغات الذي يحكمُ قوانين التوسّع الحضاري والمغالبة البشريّة(٣).

---

(١)من حديث الشعر والنثر، ص ١٢.

(٢) نفسه، ص ١٢.

(٣) نيقولاس اوستلر، إمبراطوريات الكلمة: تاريخُ للغات في العالم، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٥.

لقد تحقق حضور اللسان العربيّ بفعل مجموعة من الخصائص الإبداعيّة المتمثّلة في القدرة على التطور والنمو والاقتراض كما قرر جرجي زيدان في كتابه الموسوم بـ "**اللغة العربيّة كائنٌ حيٌّ**"(١)، وامتلاكه القوانين البنيويّة العميقة والأسباب الذاتية(٢).

يُقْصَدُ باللغة العربيّة الخالصة، حسب أئمة علماء العربيّة ومن سايرهم من المستشرقيّن، اللسان العربيّ الخالص المنسوب إلى النبي إسماعيل – عليه السلام –، وسلالته المتمثّلة في القبائل العربيّة من نسل عدنان. فاللغة العربية، في أصلها، هي لغة عرب الشمال العدنانيين الذين يمتد نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام –. ويتجاوز مفهومُ العربِ، في هذا السياق، العنصر البدويّ والأعرابيّ الذي كان يستقرُّ في صحراء الجزيرة العربية؛ ليصبح دالاً على كلّ سكّان الجزيرة العربيّة ومن وفد إليها واستقرّ فيها، وتكلّم بلسان العرب ولَقَنَ لغتهم. لقد توسّع مدلول اللغة العربيّة وأضحى دالاً، في المستوى الجغرافيّ البيئيّ، على البدو والحضر، وأهل المدر وأهل الوبر وأهل البوادي من الأعراب، وأهل القُرى من الحضر(٣).

أمّا المستوى الاجتماعيّ فإنّ اللغةَ العربيّة الخالصة تمثّلُ سجلاً واضحًا للتنوّع اللسانيّ الذي عبّرت عنه مختلف لهجات القبائل العربية الشماليّة التي تتضمّنُ مستويات تعبيريّة ومعجميّة وصوتيّة ونحويّة تعود إلى أصل واحد هو اللغة العربية

(١) جرجي زيدان، اللغة كائن حي، ط٢، دار الجيل للنشر والتّوزيع والطّباعة، بيروت.

(٢) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ط٢، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، بيروت – بغداد، ١٩٧٨.

(٣) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص ٥٣٩، ٥٤١.

الخالصة التي أصبحت لغة القرآن الكريم الذي استوعب لهجات العرب وعبّر عن ذلك الاستيعاب في القراءات السّبع[١].

ولا بُد من الإقرار بأنّ للقرآن الكريم منزلةً لغويةً عظيمة وأثرًا جليلاً في التخطيط اللغويّ[٢]؛ إذ إنه الشاهد العظيم الذي دُوّنت به اللغة العربيّة الفصحى لتكتسي، مع القرآن الكريم، بُعْدًا قُدسيًّا حفّزَ العلماء على دراستها وأقبلوا على تفسير مفرداتها، ومعجمها، وجمع قواعدها للوصول إلى اللغة الفصحى. ثمّ تبع الشعرُ الجاهليُّ القرآنَ الكريمَ في التدوين؛ ليصبح متنًا للقرآن الكريم وهامشًا له في الوقت نفسه؛ فأمّا كونه متنًا فيتأتّى من كونه نموذجًا لغويًّا سابقًا، في مستوى زمن الإنتاج، على القرآن الكريم، فضلاً عن أوّليته وأسبقيّته الإبداعيّة، وأمّا كونه هامشًا على متن القرآن فيتحصّل من كونه، مادّةً وشواهدَ، يعضد وجوه تأويل آيات القرآن الكريم، ويكشف عن مقاصده ودلالاته وتراكيبه وأساليبه ومعانيه[٣].

والحقّ أنّ التخطيط اللغوي قد بُوشر قبل الإسلام؛ وذلك عندما كانت القبائل العربية ترتاد مكة وتسافر إليها لتحقيق غايات حيوية مثل: الغاية الدينية

---

(١) نفسه، ص ٥٤٢ -٥٤٣.

(٢) يُقصد بالتّخطيط اللغويّ Language Planning التدابير اللغويّة الكفيلة بإحداث التأثير في السلوك اللغويّ لمجتمع لغويّ من قبيل: إيجاد لغة رسميّة مُقنّنة، وتحديد اللغات الرسميّة، واختيار اللغات الوطنيّة والتّعليميّة، وتعزيز لغات الأقليّات. ويندرج التّخطيط اللغويّان في حقل اللغويّات التطبيقيّة. انظر: معجم اللغويّات الاجتماعيّة، ص ٢١٥ – ٢١٦.

(٣)المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص ٥٥٠ – ٥٥١.

المتمثّلة في الحجّ الذي كانت بعضُ القبائل تقوم به، والغاية التجارية المتحققة في البيوع والشراء في أسواق العرب في مكة في موسم الحج، ثمّ الغاية الثقافيّة التي كانت تتحقق بالتقاء العرب في مواسم ثقافية؛ إذ يجتمع شعراء العرب وخطباؤهم في أسواق معلومة في جزيرة العرب لإنشاد الشعر، وإبداع الخُطب، وحلّ النزاعات، وإنفاذ المبايعات، وإبرام الصّلح.

وكان لقريش في الحجاز وسائر جزيرة العرب مكانةٌ كبيرةٌ في شؤون سقاية الحجيج ورفادتهم علاوة على تجاراتها وقوافلها التي ترتحل من اليمن إلى العراق والشام[١]. ونظرًا لهذه المنزلة استطاعت قريش أنْ تحقق مبدأ التوسّط اللسانيَّ الذي يعني المقاربة بين لهجات قبائل العرب، وتوحيد الألسنة من خلال نظامي التقييس[٢] والإعراب. وبعبارة أخرى؛ نجحت قريش في تحقيق الانتخاب اللغويّ الذي هيّأته لها منزلتها الرفيعة بين قبائل العرب، فأصبحت لغة قريش لغة مركزيّة خاليةً من سمات لهجات العرب وخصائصها المميّزة مثل: الكشكشة، والفحفحة، والعجعجة، والاستنطاء، والتلتلة، والعنعنة، واللخلخانيّة،

(١) سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – القاهرة، ١٩٧٤، ص ٩٥ – ١١٥.

(٢) التّقييس Standardisation هي العملية التي تتطور بها اللغة القياسيَّة عبر أربع مراحل: التنوّع الإقليميّ أو الاجتماعيّ، ووصف معايير القواعد الناظمة، وتحديد قواعد النطق والمعجم، وانتشار المعايير في المجتمع الخطابيّ الدّال على تطور اللغة المعياريّة المستمرّ الذي يُحقق غايات اللغة التواصلية وأبعادها الوظيفيّة. انظر: معجم اللغويّات الاجتماعيّة، ص ٣٧١.

والطمطمانيّة[١]. علاوة على مركزيتها في لغات الحجاز؛ نظرًا لاعتماد قبائل الحجاز على قريش في تحقيق المنافع والغايات السياسية والدينية والاقتصاديّة. لقد أذعن العرب للسان قريش؛ لما تمتلكه قريش من سلطة ونفوذ اقتصادي وديني وليس لأسباب لغوية خالصة[٢].

وعلى الرّغم من إحراز قبيلة قريش التوسّط اللساني فإنّ ذلك لا يعني أنّ لغتها أكثر حضورًا وأعلى فصاحةً من لغات القبائل الأخرى، ولا يتضمّن أنّها أغزرُ إنتاجًا للشعر والنثر من سواها من القبائل، بل إنّ لغات بعض القبائل قد حققت حضورًا بارزًا في كتب اللغويين والشرّاح والمفسرين واللغويين، ومن أبرز تلك اللغات: لغة تميم، ولغة قيس، ولغة أسد، ثم لغة هُذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، وهوازن. الأمر الذي يكشفُ عن خصوبة لغات القبائل وتنوّعها ومزيّة قريش عليها؛ فقبيلة قريش تُعدُّ خُلاصة العرب نظرًا لارتباطها بمكّة ولأن النبي محمدًا قُرشيٌّ[٣].

وإذا كان القرآن الكريم قد ورد في جُلّه على لغة قريش الحجازيّة إلاّ أنه اشتمل على لغات القبائل العربية الأُخرى، وهذا يعني أنّ لكل القبائل تمثيلاً لهجيًّا متفاوتًا قَدْره في القرآن الكريم. مما يدل على أنّ نزول الوحي بلغة قريش ضربٌ من السياسة اللغوية الهادفة إلى جمع ألسنة العرب وتوحيدها وجَسْرِ الهُوَى

(١)المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص ٥٦٠، ٥٧٠ – ٥٨٥.

(٢) نفسه، ج٨، ص ٦٣٤ – ٦٣٨، ٦٤٠ – ٦٣٢.

(٣)المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص ٥٥٧ – ٥٥٨، ٦٠٣ – ٦٠٥.

بين لهجاتها، للوصول إلى اللغة الفُصحى التي تُعبّر عن التقارب اللساني الذي حققه القرآن الكريمُ لتوحيد ألسنة العرب، وجمع شتات لهجاتها. صحيحٌ أنّ القرآن الكريم لم يُلْغ لهجات القبائل وألسنتها لكنه وحّد العرب على لغة فصيحة وأبقى على لهجات القبائل ولغاتها لتكون مُستودعًا دلاليًّا وتداوليًّا وتأويليًّا يحفظ التّمايزات اللسانيّة بين القبائل العربيّة، ورصيدًا لغويًّا حيويًّا للقرآن الكريم الذي حرص مفسروه ومؤولوه على الاستشهاد بالشعر الجاهلي والاحتجاج بلغات القبائل في توجيه دلالات القرآن المتباينة تركيبًا ومعنىً[1].

وبالجملةِ فإنّ الإسلامَ قاربَ بين اللهجات، وقرّبَ المشتركَ اللغويَّ بين القبائل، واحتفظ باللهجاتِ المخالفةَ للوحدة اللسانيّة تعبيرًا عن سعة الاستعمال والتداول اللسانيين من جهة وتوكيدًا على ثراء الرصيد اللغويّ وتعدد الدلالات من جهة أُخرى[2]. وبذلك يكون الإسلام قد أسهم في تطوير التّخطيط اللغويّ العربيّ إسهامًا جليلاً؛ إذ جُمِعت لغاتُ قبائل العرب ولهجاتُهم، ودُوّنت استعمالاتهم اللغويّة، وحُفظت آثارُهم في الشعر والنثر. وبعبارة أخرى، لقد صنع الإسلام من المتفرّق اللغوي والمتنافر اللسانيّ في لهجات القبائل العربيّة نظامًا مُترابطًا مؤتلفًا يحكمه ناظمٌ معرفيٌّ يُحيلُ إلى وحدة اللسان.

---

(١) نفسه، ج٨، ص ٥٥٠ – ٥٥١. لقد عرض جواد علي آراء الأصوليين واللغويين والمفسرين الأوائل، واستعرض آراء الرافعي وطه حسين والمستشرقين في تفسير مركزية لغة قريش. ص ٦٢٧ – ٦٣٥.

(٢)المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص ٥٥٠ – ٥٥١، ٦٩١.

أمّا الإنسانُ فقد كان للإسلام دورٌ بارزٌ في القضاء على تشرذم القبائل العربيّة التي كانت تخوض، في ما بينها، صراعاتٍ ممتدةً في الزمان، وقضى على الأحلاف التي كانت تنتهجها القبائل للدفاع عن وجودها ضد القبائل الأخرى. فضلا عن ذلك، تمكّن الإسلام من تصفية النزاعات والنزعات القبلية، وتخليص الذهنية العربيّة من التنافس والعصبيّات والانتماءات الضيّقة. كما عَمَدَ الإسلام إلى إنقاذ القبائل العربيّة من براثن نزاع المناذرة والغساسنة على الزعامة، وحماهم من أطماع الفرس والرّوم والحبش في جزيرة العرب، وأنهى تاريخ الشام والعراق ومصر الرومانيّ والفارسيّ واليونانيّ[1]، ووقاهم من دعوات المبشرين النصارى واختلاط اليهود بالقبائل العربيّة، وحفظهم من التمازج مع التجار الأعاجم الذين كانوا يفدون أسواق العرب. وبالجملة لقد أحيا الإسلام في نفوس العرب مفاهيم الجماعة، وبعث في وجدانهم أنّهم أمّةٌ واحدةٌ ذات هُويّة وخطاب مُشترَكين[2].

لقد كان الإسلامُ القنطرةَ التي عبرت عليها اللغةُ العربيّةُ في الأقاليم والأمصار والبلدان التي وصلت إليها، "أما القول بأنّ اللغة العربية كانت سبباً في انتشار الإسلام فقولٌ يحيطه التحفظُ، فالإسلام إنما انتشر بمبادئه وأصوله الفطريّة السليمة غير المتناقضة مع المبادئ الإنسانيّة. يدلّ على ذلك هذه الملايينُ المُسلمةُ التي لا تعرف من العربية قليلاً ولا كثيراً، وهذه الآلاف التي تعتنقُ

(١) عائشة عبد الرحمن "بنت الشّاطئ"، لغتنا والحياة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤.
وانظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٧٠٠ – ٧٠٥.
(٢)لمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٥٦٠.

الدينَ الإسلاميَّ من الأوروبيين والأمريكيين والأفريقيين والآسيويين لا عن وراثة ورثوها، ولا عن أُمَّة وجدوا عليها آباءهم، بل بالقراءة والتدبر في لغاتهم الأجنبية التي يطّلعون بها على مبادئ هذا الدين الحنيف. على حين لا تجد هذه الأعدادَ في المعاصرين من معتنقي الديانات الأخرى إلا بالإرغام السياسي أو التبشيري المتطرف"[1]، وفي المقابل فإنّ اللغة العربيّة هي الجسر الذي استطاع الإسلام بوساطته الانتشار في صفوف القبائل العربية وشبه جزيرة العرب.

إنّ السياسة اللغويّة التي حققها الإسلام للعرب تتمثّل في أساسين جوهريين متضافرين؛ الأوّل: أنه أنشأ لهم سيادة لغوية Language Superiority تحقّقت بالقرآن الكريم، وجمع لغات القبائل وتدوينها، مما منحهم مدونةً لغويّةً مزوّدةً بوسائلَ جليّةٍ ومحتوياتٍ بيّنةٍ تمكّنهم من تحقيق التواصل وإنجاز أفعال الكلام، والإبداع في شتّى صنوف المعرفة[2]. والثاني: أنّه منحهم خطابًا يُعبّرون فيه عن هويتهم الجديدة، وأُمّتهم الخلاّقة.

لقد كان العرب، قبل الإسلام، قبائل متصارِعة، وكانت لغتُهم لهجاتٍ متباينةً فجاء الإسلام وجمع قبائلهم وخلّصهم من ضغائن الجاهلية، وحرّرهم من العصبيّات، ويسَّر تدوين لغتهم، وآلفَ بين لهجاتهم عن طريق الخطابين الدينيّ والأدبيّ، علاوة على حروب الفتوحات التي كان يلتحق في صفوفها العربُ من

(١) عبد السلام هارون، علاقة الإسلام باللغة العربيّة، ضمن كتاب: "قطوف أدبيّة: دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث"، ط١، مكتبة السّنّة (الدار السلفيّة لنشر العلم)، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٦٠ – ١٦١.

(٢) روبرت فليبسون، الهيمنة اللغوية، ط١، ترجمة: سعد بن هادي الحشّاش، (الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٧)، ص ٨١.

مختلف القبائل على اختلاف تبايناتهم اللهجيّة. وبهذا المعنى فإنّ الأثر الذي أحدثه الإسلام كان أثرًا مزدوجًا بالغ الأهميّة؛ إذ صنع للعرب أمّة وخطابًا يُعبّرون بهما عن هويتهم، وأخرجهم من حيز القوميّات الضيّقة وجعلهم ضمن "الجماعات المتخيّلة" بعد أنْ صاغ لهم مُتخيّلاً ثقافيًّا.

يُقصدُ بالجماعة المتخيّلة An imagined community المجموعة الإنسانية المؤتلفة رمزيًّا عبر علاقات تتجاوز القوميّة والموطن واللغة. وقد طوّر بندكت أندرسن Benedict Anderson هذا المفهوم في كتابه الموسوم بـ"الجماعات المتخيّلة". ووفق تصوّر الجماعات المتخيّلة فإنّ الإسلامَ استطاع توسيع مجال الأُمّة العربيّة لتشمل مَنْ هم من خارج البلاد العربيّة، ومَن لا ينتمون إلى اللسان العربيّ؛ وذلك عندما نقل الإسلامُ اللغةَ العربيّةَ من حيّز الجغرافيا والعرق واللسان الفطريّ إلى حيّز المقدّس؛ فغدت اللغةُ العربيةُ لغةَ السّماء المقدّسةَ التي ارتقت بالعرب وجعلت منهم أُمّة قابلة للتّخييل الدّينيّ واللغويّ والأدبيّ والأنطولوجيّ(١).

إنّ هذا الإنجاز الذي حققه الإسلام للعرب المتمثّل في فحص التباينات اللهجيّة والاعتراف بها هو جوهر عملية التخطيط اللغوي التي تمخّض عنها تبلورُ اللغة العربية الفصحى التي ستتولّى تسيير أمور الدولة، وتنظيم شؤونها، وتدبير مؤسساتها، ورعاية مصالحها في إدارة شؤون الأمّة المختلفة. لقد تحدّث

(١) بندكت أندرسن، الجماعات المتخيّلة: تأمّلات في أصل القوميّة وانتشارها، ط١، ترجمة: ثائر ديب، تقديم: عزمي بشارة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، الدوحة، ص ٧١ – ٧٥.

جوشوا فيشمن Joshua Fishman عن أنّ اللغة القوميّة تصنعُ أُمّةً وهويّةً مُتمايزتين عندما تَمْنحُ مختلف الإثنيات فرصةَ التوحّد والتماثل، وتُحقق للأمّة تمايزًا عن غيرها من القوميّات والأمم(١)، وقد تحقق هذا الأمرُ للعرب بفعل الإسلام الذي بعث في العرب نبيًّا منهم، وبثّ في نفوسهم التّطلع الأُمميّ(٢).

(١) علم اللغة الاجتماعيّ للمجتمع، ص ٢ – ٥.

(٢) يقول صالح أحمد العلي: "وهكذا ضُبِطت الروابطُ القبليّة ووجد مناخٌ جديدٌ لتثبيت وتنمية الرّابطة العامّة للدولة الجديدة، أي رُجحان العوامل الموحّدة لهذه الدّولة الجديدة. ولا ريب في أنّ أبرزَ هذه العوامل الموحّدة هي اللغة العربيّة وما يتّصلُ بها من أفكارٍ ونظراتٍ وثقافةٍ وأصول مشتركة. ونظرًا لقِدَم هذه اللغة، وعموميّة استعمالها، وتقدير العرب إيّاها واعتزازهم بها، هذا بالإضافة إلى أنّها أساسيّةٌ للدين الإسلاميّ الجديد باعتبارها لغةَ القرآن الكريم، ولغة الفرائض الإسلاميّة ولغة الرسول، فقد أصبحت قوّةً فاعلةً في توحيد مجتمع الدّولة الجديدة". صالح أحمد العلي، امتداد العرب في صدر الإسلام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٥.

❖ اللسان وفتوحات البُلدان

يُقصدُ بـ:"**فتوحات البلدان**" إخضاع البلاد والأقاليم والأمصار لسلطان الإسلام. وتقتضي هذه الفتوحاتُ انتشارَ المُسلمين للدعوة إلى سبيل الله خارجَ حدود بلادهم إمّا بهداية غير المسلمين ودعوتهم بالقرآن وإمّا بالصلح والقبول بالجزية وإمّا بالقتال وإمّا بالكيد على ما قرره البلاذُري (ت ٢٧٩هـ)[١]. وقد تمخّضَ عن هذه الفتوحات اتّساع رقعة البلاد الإسلاميّة، وازدياد عدد المسلمين، وتعاظم حجم الثروات التي تخضع لسيطرة المسلمين. وبعبارة أخرى فإنّ هناك ثالوثًا نتج أثرُه الظاهريُّ عن الفتوحات؛ التوسّع الجغرافيّ، وتعاظم الثّروات، وازدياد عدد المسلمين. غير أنّ هناك عنصرين مهمّين مُترابطين يمثّلان نتيجة هذا الثالوث هما: انتشار الإسلام عبر اللسان العربيّ، وانتشار اللسان العربيّ عبر الإسلام.

لقد ترجم الإسلامُ عن التحوّل الحضاري الذي أحدثه في العرب المُسلمين من خلال توكيد القرآن الكريم على كون الإسلام "دينًا ختاميًّا"، وعلى أنّ النبيّ محمدًا – صلّى الله عليه وسلّم – (ت ١١ هـ) خاتمُ الأنبياء والمرسلين، وعلى أنّ المسلمين "خير أمة أنزلت للناس"[٢]، وعلى أنّ "اللسان العربيّ" هو لغة

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذُري (ت ٢٧٩هـ. ٨٩٢م)، فتوح البلدان، (ثلاثة أقسام)، الطبعة الأولى (١٩٥٦، ١٩٥٧) نشر وتحقيق: صلاح الدين المنجّد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٢)"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ". الآية: ١٠، سورة آل عمران. ج ٨، ص ٦٨٧. والمقصود بـ"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ": المسلمون. انظر: أبو عبد الله

القرآن[1]. وسوف يكون هذا الثالوث أساسًا في السياسة والتخطيط اللغويين وانتشار اللسان العربي وتطوّر الُعمران وتوسّع البُنيان.

بدأت حركة الفتوحات من مكة المكرّمة التي هاجر منها النبي محمد – صلّى الله عليه وسلّم – إلى المدينة المنوّرة التي استقرّ فيها بعد أنْ استقبله المسلمون الأنصار من الأوس والخزرج الذين استجابوا لدعوة النبي محمد – صلّى الله عليه وسلّم – عندما كان في مكّة المكرّمة التي لم يُفلح في نشر دعوته

القُرطبيّ (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القُرآن والمُبيّن لما تضمنه من السّنة وآي القُران، ج ٥، تحقيق: عبد الله التركيّ، ومحمد عرقسوسيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢٥٩ – ٢٦٠.

(١) إنّ نزول الوحي على النبي العربيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم – باللغة العربيّة لم يمنع أَحدَ أبرز الأئمة والمحدّثين والفقهاء وهو ابن حزم الأندلسيّ الظاهريّ (ت ٤٥٦ هـ) من أنْ يَصِمَ دعوى المفاضلة بين اللغات بالسُّخف ويرمي دعاتها بالزّيغ والضّلال قائلا: "وقد توهّمَ قومٌ في لغتهم أنّها أفضل اللغات. وهذا لا معنى له لأنّ وجوهَ الفضل معروفةٌ وإنّما هي بعملٍ أو اختصاصٍ ولا عملَ للّغة، ولا جاء نصٌّ في تفضيل لغة على لُغة. وقد قال تعالى: "وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه ليُبيّن لهم". وقال تعالى: "فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون". فأخبر تعالى أنه لم يُنزل القرآن بلغة العرب إلاّ ليفهم ذلك قومُه عليه السّلام لا لغير ذلك. وقد غلط في ذلك جالينوس فقال: "إنّ لغة اليونانيين أفضلُ اللغات لأنّ سائر اللّغات إنما تشبهُ إمّا نُباحَ الكلاب أو نقيقَ الضّفادع". ولعلّ في ما يتضمنه قول ما يرجّح أنّ التنوّعَ اللغويّ أصلٌ في الاجتماع الإنسانيّ، وأنّه لا مزيّة للغة على لغةٍ أُخرى حتى إنْ كانت لغة التنزيل والكلام الإلهيّة، لاسيّما أنّ التنوّع اللغويّ حاضرٌ في التّنزيل العزيز بوصفه مُعجزةً وعلامةً من علامات القدرة الإلهيّة. الإحكام في أُصول الأحكام، ج١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، تقديم: إحسان عبّاس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠. ص ٣٣ – ٣٤.

فيها على نطاق واسع فكان أنْ جُوبهت الدّعوةُ وصاحبُها ومن آمن بها بالرّفض والتّعذيب ومحاولات القتل من قِبَل كفّار قريش ورجالاتها الأشدّاء. وعندما وصل النبي محمد إلى المدينة عاهد اليهودَ فيها وكاتبهم لحفظ أمنهم وممتلكاتهم مقابل دفع الجزية، ثمّ إنّ النبيّ محمدًا، بعد أنْ نكث اليهودُ العهود وتحالفوا مع أعداء النبي من كفار مكة، قتّل اليهود وطردهم من جزيرة العرب، ووزّع ثرواتهم بين المسلمين واحتفظ لنفسه بجزء منها(١).

غير أنّ دعوةَ النبي لم تتوقّف عند المدينة بل امتدّت لتشمل أرجاء الجزيرة العربيّة، وظلّ النبي يرسل الوفود لنشر الدعوة في أرجاء جزيرة العرب. وبهذا المعنى؛ فإنّ السياسةَ النبويّةَ، في هذه المرحلة، استهدفت تحقيق خمسة أهداف: دعوة الناس إلى الدين الإسلاميّ، وتعميق الخطاب والهوية في نفوس العرب المسلمين، وتكثير العناصر البشرية في صفوف المسلمين، واستقطاب القبائل العربيّة للدخول في الإسلام، وتوسيع الموارد الماليّة(٢).

(١) ينظر: موضوع أرض بني النّضير وأموالهم ووضعها تحت تصرّف النبي محمد – صلّى الله عليه وسلّم – الذي وزّع هذه الثروات بين المسلمين وإنفاقها على آل بيته والفقراء من المهاجرين والأنصار. وقد اشتملت هذه الثروات على الجزية عن الأنفس والغنائم على الأرض والزرع والنخل والقلاع والدّور والآبار والسلاح والنساء (السبي). فتوح البلدان، القسم الأوّل، ص ١٥ – ٢٣.

(٢) انظر: شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأوّل: دراسةُ تمهيديّة لنشأة المجتمعات الإسلامية، ط ٥، دار العلم للملايين، ط ٥، بيروت، ص ١٣ – ٢٠.

استمرّت الفُتوحات النبوية إحدى عشرة سنة (١ – ١١ هـ/ ٦٢١ – ٦٣٢ م)[١] قام فيها النبيُّ محمدٌ – صلّى الله عليه وسلّم – (ت ١١ هـ) بنشر الإسلام في جزيرة العرب وجمع القبائل العربيّة تحت لواء الإسلام، وقد مثّلت هذه الدّعوة عاملاً بارزًا في توحيد لهجات العرب ولُغاتها. وقد اعتمد النبيُّ – صلّى الله عليه وسلّم – على مجموعة من الوسائل التي تدرّج في استعمالها، من مثل: إرسال الوفود إلى القبائل ودعوتهم إلى الإسلام، ومعاهدة من يرفضون الدعوة، ومكاتبتهم على تحقيق الصلح والأمن ودفع الجزية، ومقاتلة من يرفضون الصلح ودفع الجزية. ولقد تمكّن النبيّ محمد من استقطاب قبائل العرب في مشروع بناء الحضارة العربيّة الإسلاميّة وإنهاء الصراعات والاقتتال اللذين سيطرا على العلاقات بين القبائل، وتوجيه الطاقات البشريّة وحشدها في الفتوحات والقتال من داخل جزيرة العرب إلى خارجها، علاوة على أنّ مشروع النبي – صلّ الله عليه وسلّم – قد قام على توفير الثروات والأموال الحاصلةِ عن الجزية والخَراج الكفيلة بتحقيق مشروع التوسّع ونشر الإسلام واللغة العربيّة خارج حدود جزيرة العرب[٢]. وقد تحقق هذا المشروع في غضون إحدى عشرة سنة انتهت في السنة الحادية عشرة للهجرة، وهو تاريخ وفاة النبي.

(١)فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٧ – ١٠٤.

(٢) صالح أحمد العلي، الفتوحات الإسلاميّة، ط١، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤٧ – ٥٥.

وقد استمرّت فتوحاتُ العرب بالتّوسع خارج جزيرة العرب بمسيرة الإسلام؛ فكان مبدأ الفتح مبدأ أساسيًّا لدى الخلفاء المسلمين وهذا ما توسّع البلاذُريُّ في عرضه ومناقشته واستقصائه في كتابه الموسوم بـ "فتوح البُلدان".

❖ الأُمّةُ الظّافرة واللسانُ الغالب

يُقرّرُ المفكّر ألبرت حوراني أنّ اللغة العربية هُويّةٌ جامعةٌ لكلّ من نطق بالضّاد؛ فاللغةُ العربيّة ليست "أعظم فنون العرب وحسب، بل خيرُهم المشترك"(١). أمّا الأمّة العربيّة فتشمل "جميع من يَدّعون صِلةً ما بقبائل الجزيرة العربيّة، إنْ بالتّحدّر منها، أو بالانتساب إليها، أو باقتباس مَثَلِها الأعلى، عن طريق اللغة والأدب، في كمال الإنسان ومقاييس الجمال"(٢). وهذا يعني أنّ مفهوم الأمّة العربية مفهومٌ تجاوزيّ من حيث إنه يتجاوز العرق والمنشأ والجغرافيا إلى اللسان.

قُيّض للسان العربي انتشارٌ واسعٌ في عقود قليلة أعقبت مشروع فُتوح البُلدان والأمصار التي استقصى البلاذُري (ت ٢٧٩هـ) آثارها في كتابه الموسوم بـ"فتوح البلدان"، وقد تحقق ذلك الانتشار – على ما يرى ابن خلدون — جرّاء ما وقع للدولة الإسلاميّة من الغَلَبِ على الأُمم، وهو غَلَبٌ مُتمظْهِرٌ في الملّة والدّين اللذين يُجَسّدان صورةَ الوجود والمُلْك. وحسب ابن خلدون فإنّ تعامل العرب والمسلمين القائم على البذل والعمل والعُمران مع أهل الأمصار مثّل باعثًا لهم للإقبال على اللسان العربي لأنه أصل الشّريعة، و"لِمَا أنّ النبي –

(١) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النّهضة (١٧٩٨ – ١٩٣٩م)، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، ص ١١.

(٢) نفسه، ص ١١.

صلّى الله عليه وسلّم – عربي؛ فوجب هجرُ ما سوى اللسان العربيّ من الألسن في جميع ممالكها"[١].

وتعود بدايات السياسة اللغويّة العربيّة إلى النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم – الذي عُني بتعليم المسلمين الكتابة ومكافحة الأُميّة، فقد جعل من كان لا يُرجى منه فداء من أسرى بَدْر تعليمَ عشرة من أبناء المسلمين الكتابة، فإذا حذقوها كان ذلك فداءً له[٢].

ويذهب ابن خلدون إلى أنّ الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – (ت ٢٣ هـ) من أوائل الخلفاء الذين انتهجوا سياسة لسانية، وذلك عندما "نهى عن رِطانة الأعاجم، وقال: إنّها خِبٌّ، أَي: مكرٌ وخديعة. فلمّا هجرَ الدينُ اللغاتِ الأعجميّةَ، وكان لسانُ القائمين بالدولة عربيًّا، هُجرت كُلّها في

(١)مقدّمة ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، الجزء الأوّل، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زَكّار، الطّبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، ٢٠٠١، ص ٤٧٥.

(٢) أورد محمد بن سعد بن منيع الزّهريّ (ت ٢٣٠ هـ) أخبارًا مُتصلة نصّها: "كان فداء أسارى بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك، فمن لم يكن عنده شيءٌ أُمِرَ أنْ يُعَلّمَ غِلمان الأنصار الكتابة". و:"أَسَرَ رسولُ الله، صلّى الله عليه وسلّم – يومَ بدرٍ سبعينَ أسيرًا، وكان يُفادى بهم على قدر أموالهم، وكان أهلُ مكةَ يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دُفِعَ إليه عشرة غِلمان من غلمان المدينة فعلّمهن، فإذا حذقوا فهو فداؤه". و: "كان فداء أهل بدر أربعين أوقيّة أربعين أوقيّة، فمن لم يكن عنده علّم عشرةً من المُسلمين الكتابةَ، فكان زيد بن ثابت ممّن عُلِّمَ". كتاب الطبقات الكبير، ج ٢ (في مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسراياه)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ص ٢٠.

جميع ممالكها؛ لأنّ الناس تَبعٌ للسّلطان وعلى دينه، فصار استعمالُ اللسانِ العربيّ من شعائر الإسلام وطاعة العرب. وهجرَ الأُممُ لُغاتِهم، وألسنتَهم في جميع الأمصار والممالك. وصار اللسانُ العربيُّ لسانَهم، حتى رسَخَ ذلك لُغةً في جميع أمصارهم ومُدنهم، وصارت الألسنةُ العجميّةُ دخيلةً فيها وغريبة، ... وسُمّي اللسانُ العربيّ لسانًا حضريًّا في جميع أمصار الإسلام"[١].

وهذا يعني أنّ الإسلام حرصَ على تثبيت دعائم اللغة العربية لتكون عنوانًا جامعًا للعرب ولغيرهم دون أنْ يعمد إلى طمس اللغات الأخرى، وهذا يعني أنّ الإسلام قد اعترف بالتعدديّة اللغويّة[٢] في أرجاء دياره وجغرافيته، وسمح

(١)مقدمة ابن خلدون، ص ٤٧٥.

(٢) التَّعددية اللغوية Linguistic Pluralism مصطلحُ دالٌّ على حضور مجموعة من اللغات في المجتمع والدّولة، في مقابل الأُحاديّة اللغويّة Monolingualism التي يُقصد بها سيادة لغة واحدة في الدّولة والمجتمع. وتنتج التّعدديّة اللغويّة في المجتمع والدولة عن طريق وجود عدد من الأعراق والجماعات في الّدولة عبر حِقَبٍ تاريخيّة مُتعاقبة، والهجرة، واللجوء، والإمبرياليّة، والائتلاف، ومناطق الحدود المشتركة بين الدول المختلفة لغويًّا. وتسعى بعض الدول إلى فرض الأحاديّة اللغويّة واللغة القوميّة لتعزيز الهيمنة والتطوّر الاقتصاديّ وإيجاد علاقات التّماثل والاتّحاد والمواطنة بين أفراد المجتمع والقضاء على التّهديدات التي تخلّفها التعدديّة اللغويّة مثل: الإخلال بموقع اللغة القوميّة، والتمزّق الاجتماعيّ، وإضعاف الإحساس بمفهوم الأمّة، وإحداث اختلالات في تسيير الشؤون الإدارية. وتمثّل التعدديّة اللغوية مؤشرًا مهمًّا على الفاعلية الاجتماعيّة داخل الدولة التي تسعى إلى استيعاب التّباينات اللغويّة عبر سياسة لغويّة تحترم حقوق الجماعات اللغويّة، وتسعى إلى التّخلّص من الصّراعات السياسيّة والحركات اللغويّة والدّعوات الانفصاليّة. كما أنّ التّعدديّة اللغويّة تدعم التّعايش بين مختلف الجماعات والمجتمعات اللغويّة، وتعترف بالتنوّع اللغويّ. علم اللغة الاجتماعيّ للمجتمع، ص ٢ – ٥٠. و: معجم اللغويّات الاجتماعيّة، ص ٢١٢.

لغير العرب بالإبقاء على لغاتهم للتداول والاستعمال. ولعلّ من أبرز وجوه التّعدديّة اللغوية ما أورده الإمام أبو الحسن الماورديّ (ت ٤٥٠ هـ) ونصّه: "وأمّا ديوان الاستيفاء وجباية الأموال، فجرى هذا الأمر فيه بعد ظهور الإسلام بالشّام والعراق على ما كان عليه من قبلُ، فكان ديوان الشّام بالرّوميّة؛ لأنه كان من مماليك الرُّوم، وكان ديوانُ العراق بالفارسيّة؛ لأنه كان من مماليك الفُرس، فلم يزل أمرهما جاريًا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان، فنقل ديوان الشّام إلى العربيّة سنة إحدى وثمانين"(١).

يكشفُ هذا النصّ عن أنّ المسلمين كانوا يعترفون بمردودية اللغات غير العربية في تسيير شؤون الدولة الإسلامية، وأنهم استوعبوا مقتنياتها ومدّخراتها المعرفية من أجل تطوير اللغة العربية لتمكينها من الإحاطة بمتطلبات الحضارة والتمدّن.

***

(١)الأحكام السّلطانيّة، تحقيق: أحمد جاد، ط١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٠٠ – ٣٠١.

❖ التوطين العربيّ في دار الإسلام

لجأ الخلفاء الراشدون إلى الاعتماد على القبائل العربيّة التي ساهمت بفعّالية كبيرة في الفتوحات، وعمدوا إلى توطينهم في البُلدان المفتوحة بعد خضوعها إلى سلطة الإسلام. بمعنى أنّ العنصرَ البشريّ كان مكوّنًا رئيسيًّا في تحقيق السياسة والتخطيط اللغويين القائمين على توطين الإنسان ونشر تعاليم الإسلام والقرآن وبعث العربية ومنظومة اللسان.

لقد انتشرت اللغة العربية خارج الجزيرة العربيّة بوساطة الوسائل التي لجأ إليها العربُ في نشر الإسلام الذي كان مُحرِّكًا أساسيًّا في انتشار العرب في البلدان غير العربية، وباعثًا موضوعيًّا في نشر العربية في الأمصار التي وصل إليها العرب المسلمون وهم يحملون لواء الإسلام. لقد كان الارتباطُ بين العربية والإسلام وثيقًا منذ بزوغ النداء الأوّل الذي صدرت عنه رسالة الإسلام التي تأسست على عنصرين؛ بشريّ ولغويّ يتمثّلان في العرب ولسانهم العربيّ إنّه النّداء الذي ترجمته اللغة العربيّة واستثمره العرب في تحقيق الانتشار البشري واللغويّ ونشر الإسلام في البلدان والأمصار وأصقاع الأرض[١].

وبهذا المعنى فإنّ هناك إرادة وعزيمة بشريتين بعثهما الإسلام في نفوس العرب لمواجهة الأمم والثقافات والألسن الأخرى سواء أكانت تربطهم بها علاقات جوار وحوار أو كانت قصيّة وبعيدة. لقد بدأ العربُ فتوحاتهم بهدف نشر الإسلام، والسيطرة على الجغرافيا والعناصر البشرية والثقافيّة والعمرانيّة التي

(١)امتداد العرب في صدر الإسلام، ص ٤-١٢.

بسطوا سيطرتهم عليها وحققوا نفوذهم فيها، وفي المقابل ربحت تلك الجغرافيا أمرين؛ اللغة والإسلام. أمّا الأمم التي تمكّنت من التغلّب على العرب فلم تجد بُدًّا من اعتناق الإسلام واكتساب اللغة العربية والاقتداء بمسيرة العرب الحضارية على ما قرّره المؤرّخُ الفرنسيُّ غوستاف لوبون Gustave Le Bon في كتابه: حضارة العرب(١).

وحسب المستشرق السويسري الألماني آدم متز Adam Mez فإنّ بناءَ حواضر العرب في جغرافيّات دار الإسلام كان يعتمد على بناء المسجد الذي كان فضاء تعبّديًّا يُنظّم حركة العرب الفاتحين، وكان تأسيس الجوامع الكبيرة دليلاً على أهميّة الجماعات التي كانت تُنْشِئُ، على هامش تلك الجوامع، مراكزَ لتعليم العلوم الإسلاميّة، وأسواقًا تجاريّة كبيرة حظيت بضائعها برواج كبير. ويرى آدم متز أنّ توسّع الإسلام كان يؤدي إلى انتشار العربية وتوسّع استعمالها في المبادلات التجارية، وهو ما كان يُرغّبُ شعوب الأمصار في اعتناق الإسلام، والإقبال على العلوم الإسلاميّة. ويعقدُ آدم متز مقارنةً بين انتشار الإسلام وانتشار العربيّة مُفادُها: أنّ انتشار الإسلام كان يفوق انتشار العربيّة التي لم تسع إلى طمس لغات شعوب الأمصار والأقاليم ومحوها، فضلا عن أنّ انتشار اللغة العربيّة قد جابهته عقباتٌ في حالات كثيرة مثل: منطقة النيل الأعلى التي

(١) غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله إلى العربيّة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، القاهرة، ص ١٣١-١٤٧.

انتشر فيها الإسلام سريعًا في حين أنّ إقبال السكّان الأصليين على اللسان العربي كان محدودًا، مما أدى إلى محدوديّة انتشار اللغة العربيّة[1].

(١) آدم متز، جغرافيا دار الإسلام البشريّة حتى منتصف القرن الحادي عشر، الجزء الثاني، ترجمة: إبراهيم خوزي، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السّورية، ١٩٨٥، ص ٣٠٤ – ٣٠٥.

❖ الحضارةُ بين العُمران والخراب

يَذهبُ ابنُ خَلْدُون إلى أنّ الخَرَابَ يَعْتري الحضارةَ التي شيّدها العُمرانُ وأنشأَها في حال مُجاوزةِ العُمران حدَّه، وخروجِه عن غايته المتمثّلة في الحضارةِ والتَّرف إلى التَّرف الزائد والمبالغةِ في تحقيقه الأمرُ الذي يُسهمُ في الانجراف إلى المفاسد المؤدية إلى إضعاف الهِمَم جرّاءَ ما يتحقق في نفوس أهل اللسان من فسادٍ في ذاتِهم يدفعُهم إلى الكَدِّ والتَّعبِ في حاجاتِ العوائدِ وتأمينِ مُتطلّبات العيش الكريم؛ نظرًا لأنّ "مكاسبَهم – حينئذٍ– لا تفي بحاجاتهم؛ لكَثرةِ العوائد ومُطالبة النفس بها، فلا تستقيمُ أحوالُهم"(١)، وهو ما يدفعُ أهلَ اللسان إلى التّلوّن في تحصيلِ ألوان الشّرور التي ستجلبُ إلى نفوسِهم الضَّررَ العَميم، فيقودُهم ذلك الضَّررُ إلى "التَّحيُّلِ على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه"(٢)، والانصرافِ إلى التفكّرِ في تحصيلِ المعاشِ والبحثِ في طرق الغوصِ عليه واستجماع الحيلة له كالتجرّؤ "على الكذب والمقامرة والغِشّ والخِلابة..." (٣). علاوةً على ما يؤدي إليه هذا الضّررُ من اتّباعِ الشّرِّ والسّفْسَفَةِ، والتبصّرِ في طُرق الفِسق ومذاهبِه، والمجاهرةِ به وبدواعيه، واطّراحِ الحشمة في الخوضِ فيه.

---

(١) مقدّمة ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، ص ٤٦٧.

(٢) نفسه، ص ٤٦٦.

(٣) نفسه، ص ٤٦٦.

فضلاً عن ذلك فإنّ الضّررَ الناجم عن خراب الحضارة يجعل أهل اللسان أبصرَ بالمكرِ والخديعة ممّن سواهم ممن ظل العُمْرانُ قائمًا في دولهم. وسببُ بَصَرِ أهلِ اللسانِ بالمكر والخديعة – حسب ابن خلدون – سعيُهُم إلى دفع "ما عساه ينالُهم من القهر"(١)، "وما يتوقّعونه من العقاب على تلك القبائح"، حتى يصيرَ المكرُ والخديعةُ، في أهل اللسان عنوانًا و"عادةً وخُلُقًا لأكثرهم، إلاّ مَنْ عصمه الله"(٢). ومن مفاسد الحضارة والعُمران "الانهماكُ في الشّهوات والاسترسال فيها لكثرةِ التّرف"(٣)، وما يستدعيه ذلك من تفننٍ في شهوات البطن والفَرْج.

يقترن الخرابُ – عند ابن خلدون – بالفساد؛ فعندما تسودُ الحواضرُ والمدنُ بالسَّفِلَةِ من أهلِ الأخلاقِ الذّميمةِ، ويترعرعُ ناشئةُ الدولة ووِلْدانُهم الذينَ أهملتهم الدولةُ عن التأديب فأسقطتهم من عِدادها، تهوي في نفوسِ أهلِ اللسانِ القيمُ، فتعوجُّ أحوالُهم، ويختلُّ نظامُ حواضرهم ومُدنهم.

يعرضُ ابنُ خلدون تصورًا عميقًا للفساد مُفادُه أن الفسادَ الذي يعتري أهلَ اللسانِ يُصيبُ منظومةَ الحضارةِ كلَّها نتيجةَ تحطّم مبادئ العُمران الأساسية الثلاثة: مبدأِ القُدرة والفاعلية (خُلُقُ البأس) الذي يغيبُ نتيجة سلوك التّرف والتربية الهشّة، ومبدأِ الأخلاق الذي ينتج عن فُقدان أهمية التأديب والتعليم، ومبدأ الدين الذي ينجمُ عن الانهماك في الشّهوات والاسترسال فيها والانكباب

(١) نفسه، ص ٤٦٦.

(٢) نفسه، ص ٤٦٦.

(٣) نفسه، ص ٤٦٦.

على الملذّات والخوض في المنكرات. يقولُ ابن خلدون: "وإذا فَسُدَ الإنسانُ في قُدرته ثمّ في أخلاقه ودينه، فقد فَسُدت إنسانيّتُه وصار مِسْخًا على الحقيقة"(١).

(١) انظر: الفصل الموسوم بـ"في أنّ الحضارةَ غايةُ العُمران ونهايةٌ لعُمرْه وأنّها مؤذنةٌ بفساده". مقدّمة ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، ص ٤٦٥ – ٤٦٨.

الخاتمة

يظهر من خلال ما سبق أنَّ اللغة العربية، بمحمولاتها الأدبية والدينية والثقافية وإمكاناتها التواصليّة وكفاياتها التداوليّة، كانت عاملاً أساسيًّا في صناعة طراز حضاريٍّ فريد شمل أرجاء العالم القديم في العصور الوسطى، وهو ما أدّى إلى انتشارها وذيوعها في عقود وجيزة. وقد كان للإسلام أثرٌ جليلٌ في بعث سياسة لغوية داخلية في جزيرة العرب مكّنت القبائل العربية من نبذ أسباب الصّراع والفرقة، وهيّأت لهم أنْ ينظروا إلى أنفسهم بوصفهم أُمّة تملك مشروعًا حضاريًّا قابلا للانتشار والهيمنة.

وقد ساهم انتشار جيل الفاتحين في البلدان المفتوحة في بسط سيادة اللغة العربية في أوساط لغوية لم تسلم من صدام اللغات وتطلعاتها نحو السيادة اللغوية.

ولعلّ في هذا الاستطلاع المعرفي ما يُبيّن أنّ اللغة العربية تملكُ أسبابًا جوهرية في صناعة النموذج الحضاريّ الخلاَّق، وتحوزُ خصائصَ بنيويةً ووظيفيةً فاعلةً في بناء منظومة المعارف والأفكار، وتتوافرُ على إمكانات تُمكّنُ أبناءها من صياغةِ متخيلٍ جماعيٍّ، وامتلاك وجدانٍ ثقافيٍّ، وحيازة هويّة جامعة.

مصادر البحث ومراجعه

أوّلاً: المصادر

- البلاذُري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، الطبعة الأولى (١٩٥٦، ١٩٥٧) نشر وتحقيق: صلاح الدين المنجّد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ابن حزم الأندلسيّ الظاهريّ (ت ٤٥٦ هـ)، **الإحكام في أُصول الأحكام**، ج١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، تقديم: إحسان عبّاس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ. ١٤٠٥م)، **مقدّمة ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المُسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر**، الجزء الأوّل، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكّار، الطّبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، ٢٠٠١.
- الزّهريّ، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ)، **كتاب الطبقات الكبير**، ج ٢ (في مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسراياه)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجيّ، القاهرة.
- القُرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القُرآن والمُبيّن لما تضمنه من السّنة وآي القُران**، ج ٥، تحقيق: عبد الله التركيّ، ومحمد عرقسوسيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

- الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، **الأحكام السّلطانيّة**، تحقيق: أحمد جاد، ط١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦.

ثانيًا: المراجع

- إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربيّة**، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٩٢.
- آدم متز، **جغرافيا دار الإسلام البشريّة حتى منتصف القرن الحادي عشر**، الجزء الثاني، ترجمة: إبراهيم خوزي، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السّورية، ١٩٨٥.
- ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النّهضة (١٧٩٨ – ١٩٣٩م)**، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت.
- بندكت أندرسن، **الجماعات المُتخيّلة: تأمّلات في أصل القوميّة وانتشارها**، ط١، ترجمة: ثائر ديب، تقديم عزمي بشارة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، الدوحة.
- جرجي زيدان، **اللغة كائن حي**، ط٢، دار الجيل للنشر والتّوزيع والطّباعة، بيروت.
- جواد علي، **المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٨، ط٢، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، بيروت – بغداد، ١٩٧٨.
- جيمس و. طوليفصون، **السّياسة اللغويّة: خلفيّاتها ومقاصدها**، ترجمة: محمّد خطابي، تقديم: عبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى، مؤسسة الغني، الرّباط، ٢٠٠٧.

—رالف فاسولد، **علم اللغة الاجتماعيّ للمجتمع**، ط١، ترجمة: إبراهيم بن صالح محمد الفلاي، منشورات جامعة الملك سعود، ٢٠٠٠، الرياض.

—روبرت فليبسون، **الهيمنة اللغوية**، ط١، ترجمة: سعد بن هادي الحشّاش، (الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٧).

—جون سوان وآخرون، **معجم اللغويّات الاجتماعيّة**، ط١، ترجمة: فوّاز عبد الحق وعبد الرحمن أبو ملحم، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللغة العربيّة، الرّياض، ٢٠١٩.

— سعيد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — القاهرة، ١٩٧٤.

— شكري فيصل، **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأوّل: دراسةٌ تمهيديّة لنشأة المجتمعات الإسلامية**، ط ٥، دار العلم للملايين، ط ٥، بيروت.

— شوقي ضيف، **العصر الجاهلي، دار المعارف (سلسلة: تاريخ الأدب العربي)**، ط ٢٢، القاهرة.

—صالح أحمد العلي، **امتداد العرب في صدر الإسلام**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.

— ـــ، **الفتوحات الإسلاميّة**، ط١، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤.

— طه حسين، **من حديث الشعر والنثر**، ط١، دار المعارف، مصر.

— عائشة عبد الرحمن "بنت الشّاطئ"، **لغتنا والحياة**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩.

- عبد الحميد الشّلقانيّ، **الأعراب الرّواة**، ط ٢، المُنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، ١٩٨٢.
- عبد السلام هارون وآخرون، كتاب: "**قطوف أدبيّة: دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث**"، ط١، مكتبة السّنّة (الدار السلفيّة لنشر العلم)، القاهرة، ١٩٨١.
- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، نقله إلى العربيّة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، القاهرة.
- محمود شكري الألوسيّ، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج١، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٩.
- مختار الغوث، لغة قريش، ط١، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧.
- ناصر الدين الأسد، **مصادر الشّعر الجاهليّ وقيمتها التّاريخيّة**، ط٧، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.
- نهاد الموسى، **الثّنائيات في قضايا اللغة العربيّة من عصر النّهضة إلى عصر العولمة**، ط١، دار الشروق، عمان – الأردن، رام الله، فلسطين، ٢٠٠٣.
- نيقولاس اوستلر، **إمبراطوريات الكلمة: تاريخٌ للّغات في العالم**، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١.